بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد النبهان

العالم العامل والمرشد الكبير

للدكتور : محمود ناظم نسيمي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وامام العارفين والمرشدين والعلماء العاملين ، وقدوة المؤمنين المتقين ، ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فان فقيدنا الراحل المرشد العارف بالله تعالى الشيخ محمد النبهان غني عن التعريف به لكثرة آثاره المجيدة الدالة عليه .

وانما اكتب اعترافا بفضله علي وتوجيهاته السامية لي ، واقرارا بحسن صحبته وبليغ ارشاده ، وتعريفا بجانب من جوانب عظمته وارشاده لمن لم يحظ بالاستماع الى حديثه الجزل وتوجيهاته الناهضة بهمة المؤمن النزيه ، وعرضا لنخبة من كلماته وتسجيلا للتاريخ .

ان حقائق العظمة في حياة مرشدنا الفقيد الغالي لعديدة الجوانب وعالية الشأن ، لقد كان رحمه الله عالما عاملا ، ومربيا مرشدا ، شب على التقوى والنصح للمسلمين والغيرة على دينهم .

وكان ذا عزة ايمانية وعبية نورانية مع سعة في تحمل الناس على اختلاف امزجتهم وذا رحمة في معاملتهم وعطف على فقرائهم .

وكان ذا فكر نير وبصيرة صافية وهمة عالية وعزيمة صادقة .

وكان قلبه معلقا بحب الله ورسوله ، يهون عليه كل ابتلاء مع لذة الاتباع الشرعي وأداء ما يرضي الله تعالى ، يتلقى الابتلاء بحسن الصبر وجميل الشكر .

نشأته وحياته :

- ولد في مدينة حلب سنة ١٣١٨ هـ ١٩٠٢ م
- ولما أصبح يافعا أخذ يساعد والده في أعماله التجارية وأدارة أملاكه مع حرصه على الصلاة في أوقاتها .

www.alsayed-alnabhan.com

- وفي سنة ١٣٣٤ هـ زوجه والـده ٠
- وفي سنة ١٣٣٦ هـ بدأ يطلب العلم الشـرعي في مدرسـة الاسماعيلية ومدرسـة القرناصـية ٠ دفعه الى ذلك حبه للعلم والعلماء ٠ وسـمعت منه أنه كان يتوسم الصـلاح والولاية في كل عالم يراه ٠

لاحظ أن طلب العلم يحتاج الى تفرغ له فترك العمل مع والده واكتفـى بما يرد عليه من زراعة أرض زوجته ، ودفعه ورعـه الى أن يعيش عيش الكفاف مع زوجته على أن يأخذ من مال والده الذى يحبه لنباهته ونشـاطه ورجولته ولا يبخل عنه بشـيء ٠ ولكن طالب العلم الناشيء آثر الكفاف على أن يأخذ مالا تجاريا يمر على المصـارف (النبوك) فيخشـى معه من شـبهة الربا ٠

ترجاه صديق أبيه السيد حمدى الشـالاتي رئيس أحد المحاكم يومئـذ في العودة الى مسـاعدة الأب في التجارة فاعتذر ٠ ثم لجأ الى العلامـة الشيخ نجيب سـراج الدين رحمه الله تعالى للتوسـط بينه وبين أبنه على أن يعمل ابنه معه نصف يوم ويقضـي النصف الآخر في طلب العلم ٠ فـكان جواب الشـيخ محمد النبهـان : (جبسـتان لا تحملان بيد واحدة) ٠ ولما رأى الشـيخ سراج الدين صـدقه واصـراره أوصـاه أن يقول يوميا صباح مسـاء ثلاث مرات : (اللهم ارزقني العلم النافـع) ٠

- وفي سـنة ١٣٤١ هـ حج بيت الله الحرام ، وأخذ يحضـر دروس الخسـرويـة أيضـا (ثانوية الاوقاف الشـرعية) ٠
- تلقى العلم الشـرعي عن مشـاهير علماء حلب يومئذ وهم الشـيخ أحمد المكتبي والشـيخ محمد الحنيفي والشيخ عمر ترمانيني والشـيخ كامل هبراوى والشـيخ فيض الله الايوبي والشـيخ عبد الله عبد المعطي والشـيخ محمد الناشـد والشيخ أسـعد العجي رحمهم الله تعالى ٠
- وبعد بدء طلبه العلم بسـنتين ذهب الى الازهر الشـريف فقضى فيه ستة أشـهر تعرف خلالها على الشيخ محمد البغدادى الكردى شـيخ الطريقـة النقشـبندية في مصـر وخليفته الشـيخ محمد أمين صاحب كتـاب تنويـر القلوب ٠ ثم ارتأى أن يعود الى طلب العلم في بلـده ٠
- وفي سنة ١٣٤٢ هـ انتسب الى الطريقة النقشـبندية وسـلك على يد مرشدها الشـيخ أبي النصر خلف رحمه الله تعالى ٠ وفتح عليه عنده حتى ارتقى روحيـا في مراتب السـلوك من حضـرة الشـيخ الى الحضرة المحمدية على صاحبهـا أفضـل صلاة وأتم تسـليم ٠

www.alsayed-alnabhan.com

— وبعد سنتين اعتزل الناس سنة وهو في معارجه الروحية لا يفتح الباب لزواره الا ندرة لعدد محدود حتى اطمأن به المقام وفاض فتحه وزاد الراغبون في الاستماع اليه والاستفادة منه . فانفتح الباب وزاد الأحباب يوما بعد يوم ، كما سنرى في مباحث ارشاده (١) .

— وفي سنة ١٣٧٦ هـ تم تجديد وتوسيع جامع الكلتاوية بمساعيه ومساهمته ومساهمة اخوانه .

— وفي سنة ١٣٨٠ هـ أرعلى أتباعه من التجار والأغنياء والعلماء بتأسيس جمعية النهضة الاسلامية للقيام بالأعمال الخيرية . ثم تشعبت الأعمال كما سنرى في بحث اهتمامه بالمسلمين .

— توفاه الله تعالى مساء السبت الموافق لـ ٦ شعبان سنة ١٣٩٤ هـ ولـ ٢٤ آب ١٩٧٤ م تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان .

حرصه على الاتباع الشرعي :

كان رحمه الله تعالى متمسكا بتعاليم الشريعة وبروحها ، فرائضها و سننها ومستحباتها ، لا يترك قيام الليل والتهجد قبل الفجر ولو تأخر نومه . ويستعيض عن سهره بنوم القيلولة بعد صلاة الضحى . حدث في السنين الأخيرة من حياته عن نفسه تحدثا بنعمة الله تعالى ورفعا لهمة مريديه فقال : منذ أربعين سنة لم أعمل خلاف الأولى ولم يخطر لي خاطر سوء .

وحرصا منه على تعليم أتباعه أحكام الدين كلف فضيلة الشيخ محمد أديب حسون باجراء درس عام للاخوان يعلمهم فيه أمور دينهم . كما كان فضيلة الشيخ بشير حداد يقوم بتعليم القرآن وتجويده لمن شاء .

ومن أقواله في التمسك بأهداب الشريعة واتباعها :

* وظيفتنا الاتباع ، فاذا سبق الاتباع المحبة فذاك أحسن .
* علامة المحبة الالهية الاتباع .
* الاتباع يولد محبة ، وهذه المحبة تزيد في الاتباع ، وزيادة الاتباع تزيد في المحبة وهكذا ينموان .

---

(١) سمعت بعض المعلومات عن نشأته من رفيقه في طلب العلم وأخيه في الطريق العالم الفاضل الشيخ ناجي ابو صالح . وسمعت بعضها الآخر من والدي الشيخ شاكر نسيمي وقد كان أخاه في الطريق وصديقه في غزلته .

www.alsayed-alnabhan.com

* الاتباع يعطي المعرفة النفسية ثم المعرفة الالهية ·
* مرتبة الاحسان تتضمن الايمان والاسلام والعمل بهما (أن تعبد الله كأنك تراه) ·
* الحقيقة مولود يأتي من الشريعة والطريقة ولا بد مع ذلك من الهمة · فالذى لا يتمسك بالشريعة ولا يتخلق بالطريقة ولا تكون له همة لا يصل الى الحقيقة · ومدار الشريعة على الامْر والنهي ·
* العارف ينظر بعين الشريعة والحقيقة معا بآن واحد · يقيم الحدود ويدعو بالقلب للمخطيء ·
* يقف الشيطان للسالكين عند أعلى الدرجات لسلم الرقي ، فاذا وصلها السالك وسوس اليه : (ياعبدى قد غفرت لك كل شيء فأعمل ماشئت) فان صدقه سقط عن درجات السلم كلها ولو فضل الاتباع ولم يعص الله تعالى ، أما اذا صدقه وعمل بدعوى سقوط التكليف عنه فقد كفر وضل ضلالا بعيدا ·

أخلاقه الكريمة :

كان منذ فجر شبابه محافظا على الصلاة شجاعا كريما ، فزاده العلم والسلوك تخلقا حميدا ، حتى أضحى مرشدا قويا ذا حلم وسعة وهيبة ، يؤثر في جليسه بحاله الطيب أكثر من تأثيره بمقاله القيم ·

كان يستضيف الوفود ويكرم وفادتهم ، ويعطف على الفقراء والمساكين ويكاد لا يردّ سائلا · عرف ذلك عنه حتى طمع به من طمع ·

وكانت أخلاق المصطفى صلوات الله عليه مهيمنة عليه حتى أنه كان يستدين ليمنح الفقير بل كان أيضا يستدين ليقرض تفريجا لكربة مسلم وردا للهفة مدين يطلب العون · وعندما حدثه بعض أخوانه بأن الله تعالى لا يكلفه ذلك أجاب بما سمعته منه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستدين ليعطي ويقول : استدن عليّ ·

وكان ذا حلم وسعة ورحمة يتحمل من الجاهلين كثيرا لعل الله يزيدهم هدى وتقوى · على أنه كان يغضب لله تعالى عندما تنتهك محارمه أو يهاجم دينه ·

وذكر مرة أن أناسا (لم يسمهم) مشوا بالنميمة لافساد الحب بينه وبين شيخه أبي النصر خلف (رحمهما الله تعالى) فقال : كانوا بذلك سبب فنائي ورقي فأضحيت أدعوا الله لهم عقب كل صلاة · وقال : المحمديون لا يدعون على أحد ، ولا ينتقمون لانفسهم ويقيمون الحدود على من عصى وقلوبهم تدعو له بالتوبة والمغفرة

www.alsayed-alnabhan.com

اهتمـــامه بالمســـــلمين :

كان مجلســـه مليئا بالارشـــاد والحكم والمواعظ · وكان الكثير من أتباعـــــــه يستشيرونه في أمورهم فيستمع لهم ويشير عليهم ، ويقدم للمحتاجين العطف المـــــــادى والمعنوى ·

وعند ماضـــاق جامع الكلتاوية عن استيعاب المصـــلين من أهل الحي ومـــــــن المسترشـــدين قام بتجديده وتوسيعه وتأسيس غرف لطلاب العلم وذلك من ماله الخاص(٢) ومن مال اخوانه · وكان الزائر حينئذ يراه هو واتباعه في مساعدة عملية لحركة البنـــــاء من نقل أحجار وتراب ·

وكان مهتما بأمر المسلمين عامة والدفاع عن عقيدتهم والعطف على فقرائهم ، فدعاه ذلك الاهتمام الى تقبل فكرة انشـاء جمعية النهضـة الاسلامية في حلب بعد زيارة جمعية حماه فأوصى محبيه من الاغنياء والتجار والعلماء بانشاء هذه الجمعية الخيريـــة فأنشئت سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م ، وأخذت تتحقق من عوز الاسـر الفقيرة وتحدد مقدار المعونة الشهرية بالنسبة لحال الاسرة وامكانيات الجمعية · ثم أنشأت مستوصفا لمعالجة مرضى تلك الاسـر ومدرسة مهنية سنة ١٣٨٢هـ لتعليم الصناعات النسائية لبناتها واهدتهن آلات الخياطة ·

ثم عمل الراحل الكريم مع الجمعية على انشـاء مدرسة شرعية في جامعه هـــــي (دار نهضة العلوم الشرعية) وذلك سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م وكان الدافع الاول لهذا العمل المجيد قلة الائمة والخطباء والمراجع الشرعية والدعاة في الريف · ولذلك رغب أهـــل الريف كثيرا لادخال بنيهم فيها فعمرت المدرسة لهم فجزاه الله تعالى وجزى القائمين على جمعية النهضـة خير الجزاء ·

ثم أنشأوا مدرسة اعدادية شـرعية أخرى للاناث سنة١٩٦٦ لتبني الاسر الاسلامية على أساس متين · وأخيرا اشـترت الجمعية الدور المجاورة للجامع وأقامت فيها أبنيـة مدرسية كمجمع يضم المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية · انتهت من بنائـــــه سنة ١٩٧٣ م ·

---

(٢) كان قاطنا في حارة الباشا، فعرض ابنه على صاحب البناء شراءه لسكن الشيخ وسكن ولديه فلم يتفقا ان يكون السعر (٩٠) الفا كانت مع الاب فلما بلغه ذلك قال الحمـــد لله · أنا بحاجة اليها لبناء الجامع · ومات وهو في دار بالايجار ·

www.alsayed-alnabhan.com

ولا تزال أعمال جمعية النهضة بتوجيهه رحمه الله تعالى وسهر القائمين عليها وجهودهم في نماء وازدهار .

ارشاده العام :

كان رحمه الله تعالى متفرغا للمسلمين . فبعد لقائه مع فلاحيه ووكلائه في الشؤون الزراعية يستقبل أهل المواعيد معه وراغبي الاستماع اليه في غرفته في هذا الجامع (جامع الكلتاوية) . وكثيرا ما كانت المجالس تنعقد عفوا للاستفادة من نصائحه وتوجيهاته .

يسمع المرء به وبصلاحه وتقواه وما فتح الله عليه من علوم التقوى والعلوم اللدنية ، فتتحرك نفسه للالتقاء به والسماع منه ، ويسمع منه آخرون عرضا ، فيتعلق به غالبا من جلسة واحدة أوبعد جلسات . وهو لم يدعهم بنفسه ولا لاتباعه الى طريقة صوفية ولا الى بيعة روحية كما يفعل الكثير من مشايخ الطرق مع مريديهم ، وانما كان يرفع همة السامعين الى اتباع الشرع الحنيف ويوصيهم بشكل عام بالتمسك بالاخلاق الفاضلة وحب الله ورسوله والاخلاص والصدق أى أن يكون مقصودهم وجه الله وحده .

كان يتكلم حسب المستوى العام لجلسائه ويوجز ، ويقصد رفع همتهم ليتطلعوا الى مستوى روحي أعلى مما هم عليه . ولذا لم يتخذ غالبا صيغة الأمر والنهي في كلامه حتى مع أتباعه بل كان يبين الاحكام الشرعية عند المناسبة ويرغب في الاتباع ويوعظ بما يرفع الهمة الى التطبيق . زاره مرة محام في يده خاتم من ذهب ، وكان في المجلس أحد العلماء الافاضل فأوصاه هذا برفع الخاتم فاستجاب . وبعد ذهاب الزائر قال المرشد : رأيت الخاتم ولكني أفضل أن يرفعه بدافع ذاتي ايماني بعد استماع النصيحة دون أمر ولا غلظة .

أن أقواله التي أرويها في هذا المقال هي من سماعي منه في مذاكراته العديدة العامة والخاصة . منها ما سجلته باللفظ ومنها ما كان بالمعنى ، منها ماسجلته فورا ومنها بعد عودتي لبيتي وقد يكون بعضها من كلام غيره وجرت على لسانه . ولم أجمع اقواله من فم مريديه وفيهم من هو أكثر مني مجالسة وفضلا لأني قصدت أن أروى ما سمعته بنفسي لئلا يطول البحث من جهة وطلبا للاسناد العالي من جهة أخرى ، واذا أردت ايضاح معنى أضع كلامي في بين قوسين أو أسجله في الحاشية .

من حكمه وتوجيهاته :

١ ـ الايمان قبل الاسلام لأن النية قبل العمل والروح قبل الجسد والمعنوى قبل

www.alsayed-alnabhan.com

المسادى • والايمان هو الدافع للعمل ومع ذلك فان الاسلام الحقيقي هو الايمان •

٢ ـ الاسلام ثوب والايمان معنى •

٣ ـ الاسلام ظاهره النظافة وباطنه اللطافة •

٤ ـ علاقة المكلف بالأمر والنهي ، أما ارادة الله تعالى وقدره فهما مغيبان عنا متعلقان بالله تعالى لا يبحث عنهما المكلف •

٥ ـ الشخصية الحقيقية هي التي تحب الحق وتخضع له ، أما الشخصية الكاذبة فهي الشخصية العصبية التي تنتصر لنفسها ولو بالباطل •

صاحب الشخصية الحقيقية يتقبل الايمان ويعمل بالاسلام ثم يرتقي في معارج الاحسان والكمال •

صاحب الشخصية الحقيقية يحب الحق ويعمل في طريق الحق ويتطلع الى الرقي في كمالات الحق ، لاتأخذه عصبية أنه أخطأ، فلا يلف ولا يدور ولا يبرر ولا ينكر الحق ليلبس نفسه ثوبا مزيفا من الكمال •

٦ ـ لكل وجهة هو موليها، وصاحب الوجهة هو الذى يرقيها •

٧ ـ ظننا في البدء أن أولادنا يجب أن يكونوا كلهم علماء ومشايخ ، ثم تبين لنا معنى قوله تعالى : "لكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات" فليستبق كل انسان الخيرات في ميدان استعداده ووجهته فهذا حدّاد وهذا تاجر وهذا طبيب •

٨ ـ الاسباب لاتقان العمل فخذ بها واتقنه طاعة لله تعالى "ان الله يحب اذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه" (٣) •

٩ـ الصلاة نور تكشف نفسك وحقيقة ما فيها ، فالخواطر التي ترد ك في الصلاة هي مافيك فاحفظ حواسك وجوارحك بتقوى الله تعالى فلا ترد الخواطر في الصلاة •

١٠ـ المجانسة تؤدى الى المجالسة ولا عكس •

١١ـ طريق الحلال هو المنظف من الاوساخ والموصل الى الحق •

١٢ـ أكل الحلال يساعد على البعد عن الآثام وعلى غض البصر وحجز السمع والجوارح عن المحرمات •

١٣ـ ميازين الرجال ثلاثة :

١ = الدنيا بمالها وجاهها وسلطانها هل تسبب بطرا في اقبالها فيصرفها في مصارف السوء ، هل تسبب جزعا في ادبارها وخورا •

٢ = النساء : هل توقعه في حرام أو تبعده عن مجالات الخير •

٣ = الغضب هل يصرفه عن قبول الحق والاذعان له •

(٣) في الصفحة التالية • • •

www.alsayed-alnabhan.com

١٤ ــ الخلق لله والعمل للعبد والثواب على حسب النية ٠

١٥ ــ كل شيء كامل وانما حسنه او سوءه بالنسبة لوضع المكلف له في محله أو في غير محله فهو شجاع في نصرة الحق جبان في الظلم ٠

١٦ ــ الشهورة والغضب كل منهما صفة كاملة بمعنى انها ضرورية للانسان ، ووصف الحسن والقبح يأتي من الواضع ، فان وضعهما في الحلال كان حسنه ، وان وضعهما في الحرام كان سيئة ٠

فبالشهوة (أى الرغبة) يكون الاقدام على تنفيذ الطاعات ٠ وبالغضب (أى الانفعال) يدافع المؤمن عن دينه وينجد المستغيثة للدفاع عن شرفها ٠ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب لله تعالى ٠

١٧ ــ الشيطان يدخل على ضعيف العقل وكبير النفس ٠

١٨ ــ انما ضعف العقل كبرت النفس (أى تضخمت شهواتها ونزعاتها وعواطفها) واذا صغرت النفس كبر العقل (أى بمحاكمته حكمه) ٠

١٩ ــ كثرة المزاح والضحك تميت القلب ولو بالمباحات ٠

٢٠ ــ نتيجة الابتلاء اما رضاء فهو ارتقاء ، أو صهر فهو تطهير ، أو سخط فهو انتقام ٠

٢١ ــ الابتلاء فيه التزكية للنفس ٠ وكل عمل صالح باخلاص يعقبه ابتلاء من الله تعالى تعقبه ترقية ٠

٢٢ ــ الدعاء ثلاثة أنواع :

١ = دعاء باللسان وحده لا يسمع ٠

٢ = دعاء بالقلب يستجيب الله له بما يريد في الوقت الذى يريد ٠

٣ = دعاء بكل الذات وهو دعاء المضطر يجاب بما يريد المضطر في الوقت الذى يريد رحمة من الله تعالى ٠

٢٣ ــ البركة تأتي من الرضى ٠

٢٤ ــ الانسانية اسلامية (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) ٠

---

(٣) ص/ ٧/ : وفي لفظ عملا بالتنكير ٠ رواه ابويعلي والعسكرى عن عائشة ترفعه ، ورواه العسكرى ايضا بلفظ ان يحكمه ، ورواه البيهقي بلفظ (ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن) ٠ كما في كشف الخفا ٠

www.alsayed-alnabhan.com

٢٥ ــ حسن تمسكك بالشريعة وصدقك يجعلان لك الهيمنة في البيت وفي غيره . ولا يدخل عليك غرور أنك تصلح زوجك بل الله هو الذى يصلحها فتوجه الى الله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وقلبك يدعو بالخير .

٢٦ ــ حقيقة الانسان في أربع : فقر وذل وعجز وضعف .

فكل انسان فقير الى الله تعالى ذليل الا اذا أعزه الله ،عاجز الا اذا أيده الله .

٢٧ ــ تخل عن الادعاء : "فمن وجد خيرا فليحمد الله" "وما بكم من نعمة فمن الله" "وكان فضل الله عليك عظيما" .

ايضاحه لمعان غامضة :

كان رحمه الله تعالى حريصا على الاتباع كما ذكرت وعلى السير في ركاب السنّة وبيان زيف المعاني الخاطئة وايضاح المعاني الصحيحة للآيات والاحاديث في مناسباتها . واليكم أمثلة عن ذلك :

١ ــ قال تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم" (٤) .

قال الشيخ : ان ما زعمه بعض المفسرين استنادا الى حديث موضوع من أن الشيطان القى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ــ وهو يقرأ القرآن ــ كلمات الشرك والكفر زعم باطل . وانما المعنى الصحيح المتبادر هو أن كل رسول يتمنى لجلسائه الهداية ولأتباعه زيادة الايمان . فأمنيته أصحابه . فالشيطان يلقي الشكوك في روع أصحابه الذين هم أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان في روعهم ويحكم في قلوبهم معاني آياته فتزول الشكوك ويثبت الايمان . أما فتنة الشيطان فانها تقع على المنافقين وعلى القاسية قلوبهم .

٢ ــ وبيّن عصمة الأنبياء في قصة داود عليه السلام مع الخصمين في النعاج وتسورهما عليه المحراب (٥) . وفنّد زعم القصة الاسرائيلية القائلة بأنه عليه السلام كان له تسع وتسعون امرأة (وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها) . فقال الشيخ : افترى الاسرائيليون على الأنبياء مايجرح عصمتهم ليبرروا معاصيهم وتمسكهم بمتاع الحياة الدنيا بدعواهم ان الانبياء

(٤) الحج ــ ٥٢ . (٥) القصة في سورة ص الآيات ٢١ ــ ٢٥ .

www.alsayed-alnabhan.com

وقعوا في مثل ذلك . وقال : معاذ الله أن يتعلق قلب نبي من أنبيائه تعالى بحب امرأة . ان الداعية الى الله تعالى لا يرضى بذلك لنفسه فكيف نبي جليل . انما المعنى الصحيح أن اثنين أرادا اغتيال داوود عليه السلام وكان باب مسجده مغلقا وخافا أن يكون عليه من الداخل حراس فتسلقوا الجدار ودخلوا عليه ففزع سيدنا سليمان (عليه السلام) لمباغتتهم لأن الباب مغلق والدخول بواسطة التسور يحمل نية الجريمة غالبا، لكنهما وجدا حوله حراسا — ربما كانوا من الملائكة بزيّ حرس عصمة من الله تعالى له — فحوّلا المسألة الى قصة ملفقة عن خلاف جرى بينهما حول النعاج فأفتى لهم واستغفر الله تعالى عن نسيانه لعصمة الله له وعن ظنه بأنه مفتتن بالعقل وخرّ راكعا وأناب .

٣ — وبين المعنى الصحيح في قصة سيدنا سليمان عليه السلام المعروضة في الآيات ٣١ — ٣٤ من سورة ص فقال : استعرض عليه السلام الجياد في ميدان السبق قبل ارسالها مع المجاهدين ليعرف الصحيحة من المريضة ثم مسح بيده على أعناقها وسوقها تماما كما يفعل الفرسان بخيلهم وقد كنت فارسا أفعل ذلك ، لا — أنه ذبحها وقطع أرجلها لاشغالها اياه عن صلاة العصر كما تزعم القصة الموهومة . وانما أحب الخيل (الخير) عن أمر ربه (عن ذكر ربي) لانها من آلات الجهاد .

٤ — وفي حادثة تأبير النخل قال :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهد بالهام الله تعالى أن النخيل في ذلك العام لن ينتج تمرا جنيا أبرّوه أم لم يؤبروه فأراد عليه السلام أن لا يتعبوا أنفسهم بالتأبير دون طائل كما أراد أن يستفيد من الحادثة والواقع في اعطاء درس عملي ليقول بعدئذ حكمته عليه السلام :"أنتم أعلم بأمور دنياكم (٦) أى دنياكم أنتم من زراعة وصناعة ولا يقصد سياسة الامّة والمجتمع فهو عليه السلام أعرف بها .

---

(٦) جزء من حديث شريف رواه الامام مسلم ١٥: ١١٧—١١٨ بشرح النووى عن عائشة وانس معا .

١١/ ٠٠٠

www.alsayed-alnabhan.com

السلوك والارشاد بين الصوفية من جهة ، وبين علم النفس والطب النفساني من جهة ثانية :

ان مراقبة النفس وتهذيبها وتعديل شدة بعض الميول والرغبات فيها لاحداث التلاؤم مع الامكانيات والواقع والواجب والحياة الاجتماعية تكون بتوجيه الميول القوية الوجهة الصالحة المفيدة لصاحبها وللمجتمع الذى يعيش فيه ، وبتنمية الميول النافعة الضعيفة كتنمية الميول الاجتماعية والمثالية لفتح المجال أمام التحويل والتصعيد المفيدين في التلاؤم . ومما يساعد على حسن هذا التلاؤم ايضا مراقبة الشخص الشعورية لميوله ودوافعه ليعرف نفسه أولا .

هذا ما يقرره علماء النفس والتربية والاخصائيون بمعالجة الامراض النفسية ، يقول استاذى الدكتور فيصل الصباغ استاذ الامراض العصبية والنفسية في جامعة دمشق (٧) : " أن أحسن أشكال الملاءمة مع الحياة هي الملاءمة الناتجة عن مراقبة الشخص الشعورية لميولهود وافعه ، ولا يمكن توجيه الدوافع المسيّرة لسلوكنا نحو غايات بناءه الا اذا تعرضت منابع سلوكنا المختبئة في اللاشعور لنور الشعور الكامل حيث يمكننا مواجهة الوقائع وتوجيه دوافعنا بواسطة المراقبة الشعورية .

ورغم أن سلوكنا يبقى موجها بالدوافع العميقة فان معرفتنا لمنابع سلوكنا وتفهمنا للآليات التي يستخدمها العقل لاشعوريا للدفاع وللهرب من الواقع يمكننا من اختيار التي يقبلها المجتمع ويستفيد منها . وبذا نستطيع الاستعاضة عن هذه الآليات اللاشعورية بالمراقبة الشعورية الواعية اهـ

قدمت هذه اللمحة النفسية ليعرف المؤمن السالك أن معرفته لنفسه، اعيوبها وتصرفاتها والتدقيق في نياته أى في الدوافع الاولى المحركة لسلوكه في هذه الحياة اساس متين لتخلقه بأخلاق الايمان وسلوكه طريق الاحسان .

ان مراقبة الانسان الشعورية لميوله ودوافعه هي اساس محاسبة النفس في الاسلام ووضع الشهوات (أى الميول الشخصية او النزعات) في الحلال ، وجعل الاهواء تبعا لشرع الله تعالى ، واخلاص النية (أى الدوافع) لله سبحانه . وهذا من جملة ما اهتم به أجدادنا المتقون الاخصائيون بتربية النفوس والتعريف بطرق تزكيتها ، والمعروفون باسم المرشدين الصوفيين أو شيوخ التربية . وقد عرفت تلامذتهم الذين يستطيبون لنفوسهم عندهم في سبيل حياة نفسية مثلى وطمأنينة برضوان الله تعالى ،

---

(٧) في كتابه علم الامراض العقلية ـ بحث اشكال آليات التلاؤم ـ المراقبة الشعورية .

www.alsayed-alnabhan.com

عرفوا بالمريدين أو السالكين ، لأن الواحد منهم أراد تهذيب نفسه وتخلقها بآداب الاسلام وتحقيق اخلاص دوافعه لله تعالى وتطهير نياته من أى شرك خفي ، فأراد الله وحده وابتغى رضاه فقط فهو السالك في طريق الاحسان الذى عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " ان تعبد الله كأنك تراه " ، أى بحضورك وخشوعك وخشيتك فلا يسيطر على ساحتك النفسية وافكارك الا" رضاه ٠

يمتاز المرشدون الحقيقيون على الاخصائيين في التربية وعلم النفس بمايلي :

١ ــ ان معلوماتهم عن النفس والتربية مقتبسة من تعاليم القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن تعاليم السنّة المطهرة ومن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه وصحابته رضي الله عنهم أجمعين ٠ ويضيفون اليها خبرتهم في سلوكهم على يد أشياخهم ٠ وينوّر طريقهم في التربية نور الفراسة الايمانية التي نمت بالتقوى فأضحوا يغوصون في نفس المريد والسائل والجليس فيكون جوابهم لا على السؤال مستقلا عن سائله بل على مقصد السائل من سؤاله وحالته النفسية حين السؤال ٠ ويوجهون كل سالك في ميدان نفسه على حسب استعداداته ووجهته ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل حيث يجيب على السؤال الواحد في مناسبات عدة بأجوبة مختلفة باختلاف أحوال السائلين فطريقتهم هذه أقوى وانجع من طريقة التحليل النفسي المعروفة عند الاخصائيين بها ٠

(وكان مرشدنا رحمه الله تعالى على درجة عالية في هذا الباب)

٢ ــ انهم يبنون توجيههم الخلقي على أساس التمسك بالآداب الاسلامية لأن الاخلاق على غير أساس ديني كالقصور المبنية في الهواء ٠ أما علماء التربية اليوم فانهم يبنون الكثير منها على أساس العرف الاجتماعي وتقاليد البيئة وهذه تتبدل رقيا أو انتكاسا ، وقد يعد حسنا ماكان يعد قبيحا ، فلا تصلح الاعراف ان تكون مرتكزا ثابتا للنهوض بالاخلاق ٠

٣ ــ انهم يشترطون في السلوك اتباع تعاليم الاسلام لأن تربيتهم ليست خلقية فحسب بل خلقية روحية معا ٠ وان التمسك بالدين والاخلاص لله تعالى هو المنطلق في الرقي الروحي ٠

www.alsayed-alnabhan.com

٤ - انهم يصرون على اخلاص العمل بقصد الله تعالى وحده ابتغاء رضوانه ٠

يرغبون المبتدىء بثواب الله ونعيم جناته ، ويحذرونه من عقابه وعذاب ناره، ولكن السالك يرقى بعد ذلك بالاتباع والتهذيب الى مرتبة يقوى فيها حب المثاليات عنده فيحب الله ورسوله اكثر من أى محبوب أو مرغوب ، ويعبد الله لانه اله خالق عظيم يستحق العبادة كما قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى ٠

أما علماء النفس فانهم يرغبون بالذكر الحسن والسمعة الطيبة وبدرجة أعلى بتخليد الذكرى ، بدرجة أرقى يرغبون بفعل الجميل لانه جميل ، فيلتقون في الدرجة الاخيرة مع المرشدين ٠ ولكن الدرجة العالية الاخيرة لا يبلغها الا القلة من الناس ٠ وان الذكر الحسن والسمعة الطيبة لاتغرى العامة وينتكس فيها الوسط من الناس عندما لا يرى تقديرا من أقرانه أو رؤسائه وعندما يلاحظ أن النزيه لا يرتقي ارتقاء المنافق المستغل ٠

٥ - ان مراقبة النفس عند علماء النفس وعند المختصين بمعالجة الامراض النفسية تعتمد على تفسيرات مادية وغريزية ٠ أما عند المرشدين الاسلاميين فانها تعتمد على ملاحظة ان الله رقيب عليهم مطلع على أعمالهم وعلى مافي نفوسهم من نوايا، وهو خالقهم ورحيم بهم وأعلم بما يصلحهم ٠ وبذلك تتجه النفس الى التوبة والى تصحيح الاخطاء ، والى سلوك الطريق الاقوم المؤدى الى رضاء الله تعالى ٠ وان نمو الميول الاجتماعية والدينية والمثالية عند المريد نتيجة تطبيقه تعاليم الاسلام يساعد على تعديل الميول الشخصية لديه وعلى سهولة التلاؤم العقلي وحل النزاع النفسي بهدوء دون آثار ضارة ٠

واذا كان المرشد كاملا عارفا باختلاف النفوس ونزعاتها عند مريديه سهل بتوجيهاته لهم تهذيب ميولهم والرقي بها في مقامات الكمال والاحسان ٠

فالمرشدون الصوفيون الحقيقيون هم المختصون بالتربية النفسية والدينية والمثالية معا ٠ ومجموعها كان أساس طرقهم الاولى ٠ اما الخلافات الثانوية فهي شكلة ٠ فهم يسيرون بطرق مستقيمة متجهة الى نقطة واحدة هي رضوان الله تعالى ٠

وليس في بحثي مجال لذكر المتصوفة المدعين الذين اذا عرضنا أقوالهم وأعمالهم على الشرع الحنيف وآدابه السامية وجدنا تناقضا عجيبا ٠ فمن لم يتمسك بالشريعة ولم يتخلق بآداب الاسلام ومكارم الاخلاق فليس بصوفي ولو لقب نفسه أو لقبه أشياعه بذلك ٠

www.alsayed-alnabhan.com

عرفـانـه وأهليتـه للارشـاد :

تدل السـيرة الزكية لفقيدنا الغالي وأخلاقه العالية ، واستقامته على الاتباع والتقوى ، وحاله المشـرق ، وجهاده في قول الحق ، وصبره في الابتلاءات ، وما يتحدث به من جميل الفهم وبديع الالهامات ، ورفعه لهمة مستمعيه ، يدل كل ذلك على أنه من أولياء الله الكبار والمرشدين الكاملين والعارفين بالله تعالى المحققين .

ان مرتبة العارفين بالله تعالى عند الاخصائيين من سلفنا الصالح الباحثين في الأخلاق وعيوب النفس وطرق اصلاحها ثم في السير بها في مقامات الاحسان وفي معارج الكمال هي مرتبة الايمان الكامل ، مرتبة تقوى الله حق تقاته ، مرتبة الاحسان ، مرتبة أن تعبد الله كأنك تراه ، مرتبة القائلين : انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ، مرتبة الذين يقولون للجاهلين سلاما واذا مروّا باللغو مروّا كراما ، مرتبة الذين شغلت ساحتهم النفسية حبّ الله ورسوله فذاقوا حلاوة الايمان فأضحى هواهم ورغباتهم تبعا لما جاء به المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، هي مرتبة السابقين المقربين " والسابقون السابقون * أولئك المقربون* في جنات النعيم * ثلة من الاولين * وقليل من الآخرين " . (٨)

اذا ألهمه الله تعالى فكاشف ، أو أكرمه بكرامة حسّية اجراها ، فليس ذلك بمستغرب فقد أعطاه الله تعالى الكرامة المعنوية وهي أعلى من الكرامات الحسية هي كرامة رفع همّة مجالسيه بنزاهة ، حيث تتلطف نفوسهم وتسمو رغباتهم وتزيد تقواهم ويعيشون ساعات أو أياما على الصفاء الزائد الذى خالط قلوبهم وشع نورا بمجالسته . هذه هي كرامة المرشد بن الكاملين العارفين بالله تعالى المطمئنة نفوسهم بالله سبحانه الراضية عنه المرضية عنده .

لقد أقرّ بفضله وولايته الخاصة وعرفانه علماء أفاضل كثيرون عرفوا بدايته الجميلة بالتقوى والعفة والزهد والورع والاخلاص ولمسوا صفاء نفسه وعلو همته ، ثم شهدوا أخيرا نهايته المشرقة فأقرّوا بعرفانه .

---

(٨) الواقعة : ١٠ ـ ١٤

www.alsayed-alnabhan.com

ارشاده الخاص للسالكين :

ان سيرة الراحل الكريم وأخلاقه الزكية وآثاره وكلماته الروحية المؤثرة وشهادة الافاضل به ، كل ذلك يدل على أنه متمكن في مقام العرفان والارشاد .

ومع ذلك لم يتخذ طريقة ولم يأخذ بيعة من أحد . ربما كان ذلك بسبب التبدلات التي شابت طرق القوم في القرون الاخيرة ولضعف همّة الناس وكثرة العلائق والعوائق التي تحول دون وجود المريد الحقيقي ، ولحكم أخرى الله تعالى أعلم بها .

نعم لم يدع الى طريقة صوفية مع أنه سلك بالطريقة النقشبندية على يد المرشد الكبير الشيخ أبي النصر خلف رحمه الله تعالى والذى عرض عليه أن يسلكها للمريدين في حلب فاعتذر بأنه لا يبغي مشيخة ولا يستطيع أن يكون شيخ طريقة كما حدث هو بذلك عن نفسه .

لقد كان رحمه الله تعالى كما سمعنا منه ومن رفاقه في السلوك أنه كان يعرّفي سلوكه على الاحوال الحسنة والمقامات السنية فلا يقف عندها لانه كان متعلقا بحب الحقيقة رافعا همته الى رضوان الذات الالهية فحسب .

لقد كان في أتباعه والملتفين حوله من يرغب بتهذيب نفسه وتقوية اتّباعه الشرعي وسلوكه طريق الاحسان بصحبة أهله الصادقين مع الله تعالى الدالين عليه ليبلغوا بدرجات السبق معارج الكمال ورضوان الله تعالى والقرب منه . وصدق الله العظيم : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (٩) فكان رحمه الله تعالى يثاقب بصره وقوة فراسته ونور الايمان عنده وفتح الله عليه والهامه يعرف نفوس جلسائه وسائليه فيعطي الجواب الحكيم ويوجههم في سلوكهم حسب ميادين نفوسهم ليرتقوا من مرتبة الى مرتبة محاسبين نفوسهم ومهذبين لها . وكانت محاسبة النفس عنده أهم شيء بالنسبة للمسلمين عامة وللسالكين خاصة .

وكان يرغب من أتباعه أن يجددوا التوبة والاستغفار لله تعالى وان يقرأوا فاتحة الكتاب قبل حضورهم مجلسه وذلك لتكون نفوسهم أصفى وأكثر تقبلا للمواعظ ، وليكون الجو ايمانيا مكتسبا نورانية مستدرا للفتح الرباني . وكان يقول : لا يخبرني أحد عن الضعف أو الطيش أو الجذب العقلي وكان يقول : ما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاذيب . وكان يريد لهم حسن الاتباع الشرعي وصفاء النفس وتفتح العقل .

(٩) التوبة / ١١٩ / .

www.alsayed-alnabhan.com

كان يراعي رحمه الله تعالى في توجيه الناس أن يكون كلامه على قدر عقولهم وفهمهم ومستواهم وهذا يقتضي منه اعطاء مواعيد خاصة لبعضهم او للمتقاربين في الفهم والسير ليجيب على اسئلتهم ويوجههم الوجهة الصالحة ٠

كان يصر رحمه الله تعالى على محاسبة النفس ويأمر بحفظ الجوارح عن المعاصي والحواس عن كل محرم أو مكروه أو مستهجن أو مستقذر وذلك لحفظ الخواطر من الصور المكدرة للسلوك ٠

وكان ينبه مريديه رحمه الله تعالى على محاسبة الخواطر ويذكر بأن الخواطر المتنافية حتى مع الآداب الاسلامية ولو لم يعمل بها صاحبها معكرة لصفو السلوك مؤخرة عن الارتقاء ٠

استمر على نهجه ذلك في الارشاد سنين طويلة ٠ ثم اقترح عليه كثير من محبيه أن يجعل لهم مجلسا أسبوعيا عاما يذكرون الله تعالى فيه ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ليعيشوا ساعات خالية من كل هم وخاطر الا من هم وخاطر حب الله ورسوله والتمسك بشرع الاسلام ، ولتقوى المراقبة النفسية عندهم ويسمو الضمير الاسلامي فيهم فيصبحوا أكثر يقظة وبصيرة وتذكرا مصداقا لقوله تعالى : " ان الذين اتقوا اذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون " (١٠) ٠

استجاب الشيخ لرغبتهم فأصبح ذكرهم الجماعي بعد صلاة الجمعة سنة ١٣٩٢هـ ولم يفتح الحضرة في جامعه هذا الا بعد أن قام بزيارة معظم مشايخ حلب العاملين تصفية للقلوب وجمعا للكلمة ٠

ولقد لمسنا علو همته رحمه الله تعالى ، ورفعه لهمة محبيه ، وتسامي سلوك الصادقين من جلسائه ، كما لمسنا طمأنينته ورضاه بالله تعالى على الرغم من كل المحن والمصائب والصعوبات والديون التي تراكمت عليه والمرض الذى كان ينتابه حينا بعد حين ٠ فتراه يسيّر شؤون زراعته ويتابع أحوال مريديه ويجالس زائريه ويهتم بأمر المسلمين حتى تعبت أعصابه وجسمه في مراده العالي ، وترعرعت الفرحة المضمية لديه ، ولكن همته العالية تتحمل المصاعب والمصائب وتسترها كأن لم تكن حتى نزفت قرحته وكانت سبب وفاته رحمه الله تعالى ٠

---

(١٠) الاعراف / ٢٠١

www.alsayed-alnabhan.com

اصطلاحـــات المرشـــدين :

ومما ســـمعته في هذا المجـــال :

١ ــ السلوك الخاص يحتاج الى تجرد كامل والســـالكون في ذلك قليلون جدا . أما الســـلوك العام فهو لتزكية النفـــس وتطهيرها وعدد الســـالكين فيه أكثر .

٢ ــ الســـلوك أو الطريق طريقـــان :

١ = طريق المحبـــة وهو أقرب وأســـلم .

٢ = طريق المجاهدة (١) وهو قليلا ما يوصـــل وتحدث فيه مـــكاشفات وكثيرا ما يتوقف الســـالك عند مشـــاهده في الطريق .

٣ ــ علامـــة المحبـــة الاتبـــاع :

ــ المحبة الاولى تأتي من قوة الاتباع وتتبع النوافل باخلاص .

ــ المحبة التي تأتي بعد الاتباع لاتزول .

٤ ــ المكاشـــفة تكون بالمجاهدة وليســـت خاصة بالاولياء ولا بالمســـلمين .

٥ ــ جهاد النفس كالحمية في الطب لاتكون دائما . فعندما تعند النفس تجاهدها .

٦ ــ الهمة ســـر للوصول وهي نية الاتباع دون أى غرض .

٧ ــ الهمة العالية هي ارتباطك بالذات الالهية دون تعلق بأرض أو مال أو ثواب أو عقاب أو جنة أو نار أو ولاية ، والعمل بدون همة لايوصـــل .

٨ ــ للســـير حجابـــان :

١ = حجاب ظلماني ــ تعس عبد المرأة ، تعس عبد الدينار .

٢ = حجاب نوراني ــ تعس عبد الولاية ، تعس عبد المكاشـــفة .

٩ ــ النفس ســـلطان وزيرها الهوى أى الشـــهوات .

والقلب ســـلطان وزيره العقـــل .

(*) (١١) المجاهدة هي القيام بالخلوات وتجويع النفس وتكليفها بكثرة النوافل بقصد ترويض النفس واقلال رغباتها الشخصية واشغالها عما يفسدها .

www.alsayed-alnabhan.com

١٠ ــ العقل عقــلان :

١ = عقل أول نوراني وهو المدرك المميز بين الخير والشروالحسن والقبيح ٠

٢ = عقل ثاني هو العقل المعاشي ٠

العقل الاول وزير القلب ٠ أما العقل الثاني المعاشي فهو وزير آخر للنفس ٠

اذا كبرت النفس صغر العقل الاول فيصغر الايمان ٠ (١٢)

١١ ــ الحواس لاتحكم والعقل هو الحاكم فمثلا ان الشعوربالمراد لدى شرب الماء ذوق ، والعقل بحكم أنه من مرار الماء أم من مرار الفم لوجود مرض ٠

١٢ــ القلب قلبــان :

١ = القلب الاول : هو أمر معنوى ، محل السر الالهي وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه من رحمة الى رحمة كيف شاء ٠

٢ = أما القلب الثاني : فهو اللحمي الصنوبرى ٠ وانما يتكلم الصوفيون عن القلب الاول ٠

١٣ ــ وفي جوابي عن مراتب النفس السبعة التي ذكرها المختصون بالتربية في مدرسة الاحسان ومنهم ابن عجيبة في كتابه شرح الحكم لابن عطاء الله ، قال رحمهم الله جميعا :

١ = النفس الامارة بالسوء ليس فيها خيرا أبدا ٠

٢ = النفس اللوامة : يبدأ فيها الخير ، فمتى بدأ الانسان يلوم نفسه على ما فعل من شر يبدأ فيه الخير ٠ ولا يزال يلومها حتى ينتقل الى النفس الملهمة ٠ ولكن النفس اللوامة تبقى معه في كل مراتب السلوك لتلومه على التقصير في زيادة الخير ٠

٣ = النفس الملهمة : وهي مرحلة صعبة وطويلة تحتاج الى شيخ تربية حتى يفرق بين الخواطر (الرحمانية والملكية والنفسية والشيطانية) وحتى لايقف عند مكاشفة(١٣) وتكثر المكاشفات في هذه المرحلة (١٤) ٠ فاما أن يحسب انه صار على أمر فلا ــ

---

(١٢) اى اذا كبرت النفس بتضخم ميولها ونزعاتها الشخصية وانفعالاتها وعواطفها صغر العقل اى ضعف في حكمه ومحاكمته لتسلط الاهواء فتبدو النزعات غير اللائقة وتقوى وساوس الشيطان ويضعف الايمان ٠

(١٣) هي الهام صادق حقيقي بما هو واقع دون رؤية أوتجربة أو اخبار ٠

(١٤) ولذا يظن الناس ان صاحبها من مرتبة الولاية الخاصة لما يرون منه من مكاشفات ٠ وقد يظن هو بنفسه ذلك فتقف همته عند هذه المرحلة فلا يرقى بعد هنا ٠

www.alsayed-alnabhan.com

يبقى الصعود فيقف في مقامه ولا يرتقي - تعس عبد الدرهم - تعس عبد الدينار - تعس عبد المكاشفة - تعس عبد المعرفة - سحقا لعبد الله لانه اله يستحق العبادة . واما ان يحول المكاشف ما كشف له من فائدة ثبات مثلا الى مغنم دنيوي تجاري فيقف في مقامه او ينقطع .

٤ = النفس المطمئنة وفيها تبدأ الولاية والمعرفة الالهية .

٥ = النفس الراضية .

٦ = النفس المرضية وبسرعة ينتقل الى :

٧ = النفس الكاملة وهي مرتبة العارف الكامل أو المحقق ، وليس للكمال والارتقاء نهاية "وقل ربي زدني علما" .

قواعد السلوك :

ومما سمعته منه رحمه الله تعالى ورتبته في هذا الباب :

١ - اول الطريق محاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة مرات عديدة يوميا وقبل كلا صلاة .

٢ - السالك في مرتبة الاحسان لا يصر على ذنب . ويعتبر تقصيره في الحسنات ذنبا فيتوب .

٣ - المتبع هو صاحب الشخصية ويتغذى بالاتباع وحكمه حكم المتبوع .

٤ - ميزان المريد التخلق .

٥ - المجاهدة والرياضة الروحية تلطفان النفس وتكسر ارصدة الشهوات فيصبح صاحبها قريبا للمعرفة ، ولكن هذه تبلغ بالاتباع والنور الاعلى .

٦ - يحتاج السالك الى صدق وهمة عالية ونزاهة .

٧ - الطريق صدق في القلب وهمة عالية ومحاسبة للنفس .

(١٥)
- صدق في القلب : جزم بقصد المبتغى "رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه" .

- وهمة عالية لا تتبع الرخص ولا تقف دون الغاية "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" (١٦) .

---

(١٥) الاحزاب / ٢٣

(١٦) النور / ٣٧

www.alsayed-alnabhan.com

ـ ومحاسبة لتزكية النفس والزامها الاتباع وما جزمت عليه من غاية " قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها " (١٧) ٠

٨ ـ اتباع الشريعة + التخلّق باخلاق الطريقة + همّة عالية ـــ تتولد الحقيقة ٠

فلا تخالف الحقيقة الشريعة ، والميزان هو الشريعة ٠

٩ـ اتباع الشريعة يولد محبة وهذه المحبة تزيد في الاتباع وزيادة الاتباع تولد محبة جديدة وهكذا ينموان ٠

١٠ـ الاستفادة من الشيخ لاتكون بدون اعتقاد به ٠ ويمر المريد من مرتبة الاعتقاد وبشيخه الى مرتبة الثقة به ثم الى مرتبة المحبة وفي الاخيرة تبدأ الاستفادة القوية ٠

١١ـ مقدار الاستفادة بمقدار تفتح قلب المريد فاذا تفتح وأراد الخير خطا به الشيخ " وانك لتهدي الى صراط مستقيم " (١٨) ٠ أما اذا اغلق المريد أو غيره قلبه فلا يملك الشيخ السير به : " انك لاتهدي من أحببت " (١٩) ٠

١٢ـ الرابطة هي تصور الشيخ أمامك أو تخطر كلامه مع طرد الخواطر الاخرى ودون أي ذكرلله تعالى فهي قبل الورد والذكر أما اذا أجرى الرابطة اثناء الذكر فذلك اخلال وعمل يشبه الشرك ٠

١٣ـ السالك يتخيل أو يتصور شيخه لطرد الخواطرعن ذهنه (٢٠) قبل القيام بورده مثلا وفي الخواطر مذموم وممدوح ٠

وعندما تعلو منزلة المريد عند الله على منزلة شيخه في السلوك يوصله الله بشيخ أعلى ٠ وعندما يصل الى مرتبة العرفان فان النبي صلى الله عليه وسلم يحل محل شيخه ولامجال لتخيله صلى الله عليه وسلم في هذا المقام

أما تجلي الاله في مقام الاحسان على الواصلين فلا يحده تعريف ٠

---

(١٧) الشمس / ٩ ـ ١٠
(١٨) الشورى / ٥٢
(١٩) القصص / ٥٦
(٢٠) ان نقل الزهن من الخواطرالى تصور الشيخ اوتذكر كلامه يساعد النفس على صرف تلك الخواطر بنقل الفكر من حالة الى حالة ، ويتذكر كلام الشيخ وتوصيته بالهمة العالية التي لاترضى بدون الاتباع ورضوان الله تعالى بديلا ٠

www.alsayed-alnabhan.com

١٤ ــ د ع المحبة تهيمن عليك اثناء ذكرك ، واحدخل على الله من باب الذل واستشعر ان الله رقيب عليك .

١٥ ــ الذل لله يوصل الى المراقبة ، والمراقبة توصل الى الذل .

١٦ ــ احفظ حواسك عن كل محرك أو مكروه او مستهجن أو مستعذر وذلك لتحفظ خواطرك من الصور المكدرة للسلوك .

١٧ ــ حاسب خواطرك فان الخاطر المنافي حتى للآداب الاسلامية معكر لصفو السلوك مؤخر عن الارتقاء .

نصائح وايضاحات للسالكين :

ومن كلامه العالي في هذا المقام :

١ ــ وظيفتنا الاتباع ، فاذا سبق الاتباع المحبة فذاك أحسن .

٢ ــ الاتباع يعطي المعرفة النفسية ثم المعرفة الالهية .

٣ ــ مرتبة الاحسان تتضمن الايمان والاسلام والعمل بهما (أن تعبد الله كأنك تراه) .

٤ ــ الذي لا يتمسك بالشريعة ولا يتخلق بالطريقة ولا تكون له همة لا يصل الى الحقيقة ومدار الشريعة على الأمر والنهي .

٥ ــ علامة المحبة الالهية الاتباع .

٦ ــ الاتباع يولد محبة ، وهذه المحبة تزيد في الاتباع ، وزيادة الاتباع تزيد في المحبة وهكذا ينموان حتى يصل صاحبهما (المحبة والاتباع) الى المعرفة .

٧ ــ لا حجاب بالنسبة لله تعالى فالحجاب وصفنا .

٨ ــ علو الهمة من الايمان والايمان من الشخصية ، والشخصية هي التي تحمل الذاتيين عبيد الله تعالى : " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى " .

٩ ــ حاسب نفسك حتى تطهر وعندئذ بسرعة تصل وذلك تابع لشدة صدقك ، فكلما قوى صدقك قصر الزمن .

١٠ ــ حاسب نفسك تجاه أى أمر فان كنت مقصرا فتب ، فان كان ماتمدح عليه ليس فيك فهيء نفسك للفضل الذى مدحت به ، وان كان فيك فذلك فضل الله فأحمده . واذا ذممت فان كان ما ذممت به فيك فتب وأصلح حالك ، وان لم يكن فيك فأحمد الله أن نقاك واعذر ولا تلم .

www.alsayed-alnabhan.com

١١ ــ لاتدع السيئة لو كانت صغيرة واحدة مع الحسنات فتقول : حسناتي غلبت فتنقطع ١ السيئة سيئة تب وتطهر منها ٠

١٢ ــ احفظ حواسك عن كل محرم أو مكروه أو مستهجن أو مستعذر وذلك لتحفظ خواطرك من الصور المكدرة للسلوك ٠

١٣ ــ حاسب نفسك على الخواطر فان الخواطر المنافية مع الآداب الاسلامية او مع خلاف الاولى تعكر صفو السلوك وتؤخر عن الارتقاء ٠

١٤ ــ تحقق بالفقر الى الله في سيرك ٠

١٥ ــ لاتدّع لنفسك منزلة على أحد ٠

١٦ ــ ادع بالخير الى الجميع ٠

١٧ ــ لم يكن رسولنا صلى الله عليه وسلم حريصا على قتل الكافر وانما كان حريصا على قتل وازالة صفة الكفر عنه ليتقلب موءمنا في عداد الموءمنين ٠

١٨ ــ اذا عرضت الوساوس والتخيلات فتذكر شيخك لطرد الخواطر الظلمانية ٠

١٩ ــ ميزان المحبة والاقبال على الله تعالى هو في حالة المكدرات ، فقف عند الميزان الشرعي وتلقّ الامور برضى بقضاء الله وقدره ٠

٢٠ ــ التجريد الكامل لايتنافى مع الاخذ بالاسباب عندما يتكل المتجرد على الله مسبب الاسباب ٠

٢١ ــ عندما يهتم السالك الصوفي بنفسه فليس معنى هذا أنه يقصر في الامور الشرعية، وانما حتى لاتلتفت المظاهر عن حقيقة تكوين نفسه وتهذيبها ٠ فيقوم بالواجب لانه واجب ، واخلاقه ومعاملته ستشهد له ٠ ويجب أن يكون لسان حاله أقوى من لسان مقاله في الدلالة على الله ودعوة الناس الى الخير ٠ سواء كان في معمله أم في مكتبه أو وظيفته لايغضب الا لله ولاينتقم ، سليم السريرة صافي القلب محب للخير ٠

٢٢ ــ الابتلاء فيه تمحيص للنفس وتزكية ٠ فكل عمل صالح باخلاص يعقبه ابتلاء يعقبه

www.alsayed-alnabhan.com

٢٤ ــ أجاب مرة على السؤال التالي : هل يغني السؤال القلبي عن السؤال اللساني؟ فقال : لابد من مذاكرة للتحقيق حتى يتبين الأمر ، لأن الكشف في نفس المريد قد يخطيء فالكشف حسب المرتبة ، وقد لا يجيب الشيخ على السؤال القلبي حتى يسأل المريد ويجري التحقيق .

٢٥ ــ الأنس بالذكر غير الانس بالمذكور فيختلط الأمر على اناس فيظنون أن ما حصل لهم من أنس عند ذكر الله تعالى أنهم وصلوا وأنهم يأنسون بالمذكور . فلا بد لهم من شيخ عارف .

٢٦ ــ الاعمال الصالحة المقرونة بالنية الخالصة تؤدي الى الاحوال ، ثم الاحوال الى المقامات . كما وأن الاحوال تؤدي الى الاعمال الصالحة لأن الحالة منحة الهية . أما المقام فهو استقرار ورسوخ فانه لا يؤدي عكسا الى الاحوال .

٢٧ ــ الحال الذي يعرض للسالك قسمان : بشير ونذير ، فان عرف أنه من عند الله يسكن ولا يدعي ، ويطلب عند كل حال التثبت فينسب الحال الحسن الذي يعرض عليه الى الله تعالى " ذلك فضل الله " ويدعو : (يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) .

٢٨ ــ السالك الصادق يسكن عند الحال .

ولذا كان شيخنا لا بد من السالك أن يصيح لدى عروض الحال عليه ويقول : عليه أن يتحمل ويكتم حاله .

٢٩ ــ كل حال يزول . وكل حال يكتم الا حال البكاء فيترك لورود الشرع به : (ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) (٢١) .

٣٠ ــ يقف الشيطان للسالكين عند أعلى الدرجات لسلم الرقي ، فاذا وصلها السالك وسوس اليه : (ياعبدي قد غفرت لك كل شيء فأعمل ماشئت) ، فان صدقه سقط عن درجات السلم كلها ولو فضل الاتباع ولم يعص الله تعالى ، أما اذا صدقه وعمل بدعوى سقوط التكليف عنه فقد كفر وضل ضلالا بعيدا .

٣١ ــ اذا مات السالك قبل الوصول ترقى بعد الوفاة الى مقام العرفان فضلا من الله وجزاء لصدقه في الطلب .

---

(٢١) رواه ابن ماجه في مسنده ٢: ١٤٠٣ كما رواه مرة أو كما في ١: ٤٢٤ ينصر : " ان هذا القرآن نزل بحزن ، فاذا قرأتموه فأبكوا فان لم تبكو فتباكوا وتغنوا به ، فمن لم يتغن به فليس منا " وقد قال الواقي في تخريج الاحياء ٢/ ٤٢ (اسناد جيد) لكن في اسناده عبد الرحمن بن السائب قال ابن حجر ضعيف وقال الشهاب البوصيري : ضعيف متروك .

www.alsayed-alnabhan.com

من كلامـه في المعرفـة والعارفـين :

ولقد جمعت ورتبت هنا أيضـا ما سمعته بنفسي منه مباشرة في مجالـس كثيرة • قال رحمه الله تعالى :

١ ـ العـارف هو الواصـل •

٢ ـ تبدأ الولاية والمعرفة في مرتبة النفس المطمئنة • ولا يقال للمؤمن : عـارف محقق (باصطلاح القوم) الا اذا كان عارفا بكل الاسـماء وصفات الله تعالـى ويبلغ ذلك في مرتبة النفس الـكاملة • فاذا عرف السـالك الله تعالى باسـمه الرحيم أو النافع ولم يعرفه باسمه القهارأنكره بزوال اطمئنانه النفسي عند المحن والمصائب فليس هذا بعارف •

٣ ـ لا كل من وصـل وصّـل •

٤ ـ المرشـد المـأذون من الحضرة المحمدية والالهية هو عـارف •

والعارفون درجات • والمراتب تحملها الشـخصية ، وقد تكون الشـخصية أضـعف من المرتبة أو تلائمها أو أعلى منها • وأعلى العارفين العارف المحقق •

فالمرشـد يعرف الطريق الذى سـاره حتى المرتبة التي وصـل اليها وعلى هذا فالمعرفة التي هي مقام وتسـبقها أحوال من المعرفة هي معرفة غير المحقق • أما معرفة المحقق فهي كاملـة •

٥ ـ العارفون كاملون وهم بطبيعـة الامر أوليـاء •

وليس كل ولي عارفا فقد يكون الولي في مرتبة النفس المطمئنة أو الراضـية أو المرضـية دون الكمال ، والعارف المحقق واحد في عصره ، والمرشـد الحـق عارف والاّ فهو مدعي • والعارفون المحققون يتبناهم سيدنا علي وسيدتنا فاطمـة عليهما السـلام •

٦ ـ المعرفة لا لون لها ، لونما لـون العارف فالعارف الصغير هو الذى يقيـد ويكيف المعرفـة •

٧ ـ يحتاج الداعي الى الله تعالى الى صـفتين رئيسـيتين : السـعة والرحمة •

٨ ـ الكمـل يحترمون الآخرة والجنة ولكن حبّـهم لله وحده •

www.alsayed-alnabhan.com

٩ ــ الانسان الكامل أو العارف هو عمد السموات والأرض لانه لاتقوم الساعة وعليها من يقول : الله الله . والكل محمول بقدرته تعالى .

١٠ ــ ليس كل مجذوب مفتوح عليه بالعرفان ولابد للفتح من جذب القلب .

١١ ــ يغلط أناس باتباع المجاذيب ولو كان المجذوب كاملا لكمل نفسه .

١٢ ــ الكشف هو الفهم أى فهم الأمر على ماهو عليه حقيقة وهو غير المكاشفة (تعني معرفة مايعمل فلان مثلا) .

١٣ ــ المكاشفة تكون بالمجاهدة ورياضة النفس وليست خاصة بالاولياء ولا بالمسلمين والميزان هو اتباع الشرع .

١٤ ــ يحفظ أهل الله من مكاشفة العورات والذى يكاشف ذلك هو شيطان ، تلك مكاشفة ظلمانية .

١٥ ــ الحمد لله الذى لم يعطني مكاشفة ذنوب اتباعي المغيبة عني . حتى يظل قلبي في صفاء تجاه اخواني .

وكان يوصي بأن لا يخبره أحد عن ذنب أحد ويوصيهم بالمناصحة .

١٦ ــ قد يجرى الله على لساني فضحا لمنكر متعنت دون قصد مني ولا مكاشفة .

١٧ ــ شيخك أعرف بك (أى بميولك واتجاهاتك - ومستوى نفسيتك) وقد يتجاهل العارف رحمة وشكرا .

١٨ ــ صدق المريد مفتاح فهم العارف . (أى عندما يسأل المريد بصدق يلهم العارف الجواب الذى فيه فتح وفهم جديد على العارف والسامع) .

١٩ ــ الخشوع غير الحضور مع الله تعالى .

٢٠ ــ الخشوع نتيجة الذل لله تعالى ، أما الخشية فهي أعلى من الخشوع فهي وصف العلماء بالله تعالى .

٢١ ــ كلام العارف ميزان أما كلام المحب بدون معرفة فليس بميزان . (قال ذلك عند سماعه بعض قصيدة صوفية) .

٢٢ ــ الحياة سارية في كل اجزاء الكون من اسم الله الباطن "وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم"(٢٢) ولقد سمعت الصحابة تسبيح الحصى في كف المصطفى صلى الله عليه وسلم وكانت المعجزة اسماع تسبيحها . والحياة ظاهرة

(٢٢) سورة الاسري / ٤٤

www.alsayed-alnabhan.com

في الكائنات الحية من اسمه الظاهر ٠

٢٣ ــ ان القلوب واحدة ، والقلب ساجد لله تعالى من الاوّل الى الابّد ٠ وانما تختلف الحجب من شخص الى آخر ٠ "كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" ٠ (٢٣)

٢٤ ــ حروف الصبر ثلاثة : (ص) للصدق مع الله (صبر لله) و (ب) الخفض والانكسار لله تعالى ، (فلا لج ولا اعتراض على الله بل تسليم وأداء للواجب ودعاء) و (ر) الرحمة لنفسه ٠ فالصبر الجميل يعود بالسكينة والفائدة على نفس الصابر ٠

٢٥ ــ ذكرت له مرة ما قاله ابن عجيبة في شرح الحكم لابن عطاء الله رحمهما الله تعالى : (المريد قد يترقى الى مقام وقد بقيت عليه بقية مما قبلها فيكلفها فيه) ٠ فأجاب : ذلك ليس على التحقيق ، فلا يعد من أهل مرتبة أو مقام حتى ينفي التي دونها ٠

٢٦ ــ وسألته عن قول ابن عجيبة : ان النفس والعقل والروح والسر شيء واحد ولكن تختلف التسامي باختلاف المدارك ، فما كان من مدارك الشهوات (٢٤) فمدركه النفس ، وماكان من مدارك الاحكام الشرعية فمدركه العقل ، وما كان من مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح ، وما كان من مدارك التحقيقات والتمسكات فمدركه السر والمحل واحد ٠

أجاب رحمه الله تعالى : نور واحد ، قوة واحدة ، القوة أظهرت ما في استعداد الاناء ٠ وضرب لذلك مثلا القوة الكهربائية التي تشع بالنور في المصباح وتعطي حرارة المكواة وبرودة الثلاجة ٠٠٠ الخ ٠

٢٧ ــ يقول الجنيد رحمه الله تعالى : لو كنت حاكما لضربت عنق من قال : لا موجود الاّ الله ٠ أقول كلامه حق حفظا للشريعة لأنّ العوام لا يفرقون بين معنى واجب الوجود وبين الموجود ٠ ثم قال بلسان العارفين (في جلسة خاصة): نقول : بوحدة الوجود لا وحدة الموجود فالله واجب الوجود ، لا واجب الوجود الاّ هو ٠

وما عداه وجوده بايجاد الله تعالى فهو أثر لقدرته تعالى واتصافه بالاسماء الحسنى ، لا وجود له من ذاته ٠

---

(٢٣) سورة المطففين / ١٤

(٢٤) اى الميول والرغبات والنزعات حسب تعبير علماء النفس ٠

www.alsayed-alnabhan.com

لا وجود لغيره تعالى من نفسه وبهذا المعنى يقول الصوفيون الحقيقيون بوحدة الوجود . فواجب الوجود واحد وما عداه من الموجودات موجود به سبحانه " ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا " (٢٥) .

أما الموجودات فمتعددة من زيد وعمرو وطاولة وكرسي ... الخ .
ومعاذ الله أن نطلق الله على هذه الاشياء . تنزه وعلا .

٢٨ ـ ان الدعاء : " يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك " (٢٦) تشريع ليدعوا المؤمن ويرجو الله تعالى أن يظل قلبه بين أصابع الرحمن يقلبه من رحمة الى رحمة ولا يكله الى صاحبه .

وختاما :

أسأله تعالى أن يفيض على المسلمين وعلى فقيدنا الراحل من رحماته الواسعة وأن يجزيه عنّا وعن المسلمين خير الجزاء ، وأن يزيده في درجاته مع المقربين ، وأن يعوض المسلمين عنه خيرا ، وأسأله تعالى أن يجعل تبليغ العلماء وارشاد الصالحين حجة لنا بحسن الاتباع لاعلينا ، وأن يتم نورنا في مقامات الاحسان ، وأن يحشرنا جميعا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وانّا لله وان اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم .

==========

(٢٥) فاطر / ٤١
(٢٦) رواه بهذا اللفظ أحمد ٤ : ١٨٢ عن النواس بن سمعان مرفوعا . وبلفظ " يامثبت القلوب " في ابن ماجه ١ : ٧٢ والاسناد واحد وصحيح .

www.alsayed-alnabhan.com